(الفصل الخامس عشر)

"شبح الماضي"

بعد أن عادا كل من ناردين ونور الدين من الرحلة الممتعة تلك، دخلت ناردين غرفتها وهي في منتهى السعادة، وبكل حب ودعت نور الدين الذي اطمأن عليها وذهب إلى غرفته هو الآخر.

عندما أضاءت مصباح غرفتها بعد أن أغلقت الباب خلفها كانت المفاجأة؛ فلقد تجمدت مكانها من هول الصدمة، ومن شدة الرعب لم تستطع أن تصدر صوتًا أو تحرك ساكنًا، وكأنها تمثال من حديد، فلقد ذهبت روحها وجحظت عيناها كالذي يرى أمامه ملك الموت، أرادت أن تصرخ، أن تنادي على نور الدين، لكنها لم تستطع أن تصدر صوتًا، وكأن لسانها قد شل.

ظلت هكذا للحظات، حتى انتبهت على صوت ضحكة مرعبة زادتها رعبًا؛ فزلزلت كيانها كله، ارتعد جسدها فزعًا حينما أتاها بعد هذه الضحكة المرعبة صوتًا أجش، لم تنساه هي قط، صوتًا لطالما أرادت أن تنساه وتنسى صاحبه، صوتًا مرعبًا كانت تخشاه دومًا وتخشى أن لا تستطيع التخلص منه، صوتًا كان يوقظها كل ليلة فزعة مرتجفة، صوت ذلك الحقير المختل نفسيًا طليقها، نعم، فكان هذا الصوت الذي آتاها قائلًا:

- **مرحبًا يا جميلتي، لقد أفتقدتك كثيرًا، ألم تفتقدينني أنتِ الأخرى؟ ألم تشتاقيني ؟ فأنا أشتاقك كل ليلة منذ ما يقرب من عام، منذ أن تركتيني وفررتي، هل كنتِ تحسبين أنك سوف تتخلصين مني؟ أهكذا بسهولة؟**

ثم ضحك ضحكته المرعبة وهو يتقدم من ناردين في خطوات بطيئة مميتة، بينما تتراجع هي فزعًا حتى التصقت بالباب وقد اقترب منها كثيرًا ذلك الحقير المتوحش، اقترب منها حتى اختلطت أنفاسه القذرة بأنفاسها؛ فتسارعت دقات قلبها تتسابق، كاد قلبها يتوقف من فرط الرعب عندما لمس الحقير وجهها بأطراف أنامله وهو يوجهه باتجاهه بعد أن أشاحت هي بوجهها عنه وأطبقت عينيها؛ كي لا تراه بالقرب منها هكذا، لكنه أمسك وجهها بيده ثم ضغط على فكها ليؤلمها في إشارة لتذكيرها بمن يكون، ثم بصوته المرعب قال:

- **ماذا؟ ألا تريدين أن تري وجهي؟ انظري حتى تذكرين من أكون، انظري جيدًا إلى وجهي، أم أنني لا أشبه عشيقك الوسيم الذي تركتيني وفررتي معه إلى هنا يا ترى؟**

كل هذا وناردين صامتة، لا تتحرك، لا تتكلم، تحاول أن تستوعب ما يحدث، وفي اللحظة ذاتها تدرك جيدًا أن هذا المختل يمكن أن يقتلتها ويقتل نور

الدين بمنتهى السهولة؛ فحاولت أن تستجمع قوتها، حاولت أن تحمى نور الدين فتمالكت أعصابها بصعوبة بالغة ثم بصوت مرتجف متقطع قالت:

- **ممم، ماذا تريد مني؟ وكيف عثرت عليَّ؟ انظر، فالأمر ليس كما تظن أبدًا، لا يوجد شيء بيني وبين نور الدين؛ فنحن مجرد زملاء عمل وجيران هنا فقط، وإن شئت فاسأل ، فأنا لم أكن أعرف نور الدين من قبل، ولا هو أيضًا هذا كل شيء.**

فأطلق طليقها المختل ضحكته المريضة المرعبة وبتهكم قال:

- **تخدعين من أنتِ؟ هل تحسبينني طفلًا أمامكِ؟ فطوال عام وأنا أبحث عنك في كل مكان، لم ولن أنسى إجباري على تطليقي إياكِ. لم ولن أنسى ما أخبرتي به والدك عني، فأنتِ ملك لي رغمًا عنك وعن والدك ذالك المسن الخرف، الذي اعتقد بأنه سوف يجبرني على فعل شيء رغمًا عني، فلينتظر ما زال دوره لم يأتِ بعد، لكنه على رأس القائمة لا تقلقي.**

ارتعبت ناردين وهي تقول:

- **ماذا؟ ماذا ستفعل لأبي؟ إياكَ أن تمسه بسوء إياكَ.**

فضحك المختل قائلًا:

- **ماذا ستفعلين يا جميلة؟ أخبريني، ماذا ستفعلين لي إن مسسته بسوء، ها؟ لا تتعجلي؛ فالقائمة مليئة. تري، هل أبدأ بوالدكِ؟ أم بعشيقكِ ؟ أم بخالكِ؟ أم**

بكِ ؟ أم بحرق مزرعتكِ؟ أم بمزرعة عشيقكِ؟ أم بأهل عشيقكِ؟ أم...؟ أم...؟ تري، بمن أبدأ؟ فأنا حقًّا قد احترت.

ثم ضحك ضحكته المرعبة، فردت في خوف من هول ما سمعته، كما أنها تعلم مدى خطورته قائلةً:

- **من فضلك يا جلال، أرجوك، لا تؤذي أحدًا؛ فلا ذنب لأحد، إن شئت عاقبني أنا، فأنا وحدي المسئولة عما حدث، أرجوك كن عادلًا قليلًا.**

ثم أخذت تبكي وهي تتابع:

- **ماذا تريد مني؟ سوف أفعل كل ما تريده، ولكن لا تؤذي أحدًا أرجوك.**

فابتسم الشيطان المختل، ثم قال:

- **حسنًا، إليكِ العرض؛ فأنا أريدكِ أن تعودي إليَّ، سوف تتركين هذا المكان وتعودين إلى الإسكندرية وتطلبين من أبيكِ أن تعودي إليَّ. ستخبرينه بأن كل كلمة سبق وأخبرتيه بها عني لم تكن حقيقية، وبأنكِ كذبتي من أجل أن تتركيني، ثم أنك ندمتي على فعلتك تلك، وأردتِ أن تصلحي خطأكِ بالعودة إليَّ، وسوف تأتين إلى وتتوسلين لأعود إليكِ أمام أبيكِ وأبي وأمام كل الناس، هذا أولًا، وأما ثانيًا؛ فردًا لاعتباري سوف تتنازلين لي عن ربع أسهم الشركة، التي هي ميراثكِ من أمكِ، وإلا...**

صدمت ناردين وهي تقول:

- **وإلا ماذا؟**

فأجابها المختل في برود، وهو يبتسم، وقد أخرج خنجرًا من جيبه وأخذ يقلبه بين كفيه.

- **وإلا سوف أقتل أبيكِ وعشيقكِ الوسيم هذا، ثم أحرق المزرعة والشركة وكل شيء، ستشاهدين جهنم على الأرض وفي النهاية ستكونين لي، لكني لن أقتلكِ فورًا، سوف أقتلكِ قتلًا بطيئًا، فكما تعرفين كم أحب التلذذ بتعذيب ضحاياي! كما أن صوت الصراخ والتوسل يطربني ويمتعني، ما رأيكِ؟ فالقرار قراركِ، اها، ولا تنسي أن تشكري لي والدكِ بالنيابة عني؛ فلولاه لما علمت طريقكِ؛ لقد سمعت حديثه معكِ عبر الهاتف منذ شهرين؛ فأخبرني دون أن يشعر بمكانكِ، وكما تعلمين بنفوذي ورجالي، أكملت باقي الطريق من البحث والاطلاع، حتى مفتاح غرفتكِ وغرفة عشيقكِ، نسختين منهما معي كما ترين، أستطيع أن أدخل متى شئت، ليكن بعلمك الزيارة القادمة سوف تكون لغرفة عشيقكِ وسوف تكون آخر زيارة له على الإطلاق، والآن أتركِ تفكرين بعرضي، أمهلتكِ يومين، إما أن تأتي أنتِ؟ وإما أن آتي أنا، هيا، إلى اللقاء يا زوجتي الجميلة.**

ثم قبلها رغمًا عنها وغادر المكان تاركًا ناردين في ذهول، حتى إنها قد سقطت على الأرض من شدة البكاء والرعب ، فماذا ستفعل؟ وكيف ستتصرف؟ هل تترك حبها وحبيبها وحلمها، وتعود إلى شبح الماضي المرعب وعذابه؟ وإن لم تعد فهل ستضحي بأرواح أحبائها؟ إذن فلا خيار أمامها سوى أن تضحي هي بنفسها. باتت ليلتها هذه وهي تحتضر، تموت قهرًا، تلفظ أنفاسها الأخيرة، هل تستسلم؟ أم ماذا تفعل؟ ظلت تفكر وتفكر حتى طلع صباح اليوم التالي، وقد استيقظ نور الدين متجهًا إلى غرفتها ليوقظها وقبل أن يطرق بابها فتحت الباب وهي شاحبة الوجه، وفور رؤيتها له سقطت مغشيًا عليها بين يديه؛ ففزع صارخًا:

- **ناردين، ناردين، ماذا بكِ يا حبيبتي؟**

ثم حملها ليضعها برفق على الفراش، أسرع فأحضر كوبًا من الماء، وأخذ زجاجة العطر ورشها على وجهها لتستفيق.

وأثناء محاولته لإفاقتها وضع كوب الماء على المنضدة بجوار فراشها فلاحظ شيئًا غريبًا أثار دهشته، لقد وجد على المنضدة بقايا سيجارة مطفأة، أخذها وهو ينظر إليها في تعجب متمتمًا:

- **ما هذا؟ كيف؟ من كان هنا؟**

ثم وضعها مكانها عندما سمع صوت ناردين تهذي وقد بدأت تعود لوعيها فقال:

- **حبيبتي ما بكِ؟**

فتحت عينيها التي امتلأت بدموع الألم والحسرة، وكأنها تودعه للمرة الأخيرة، نظرت إليه هكذا دون أن تجيب. شعر بأن هناك أمرًا ما يحدث، لقد فهم معنى نظراتها المودعة، هناك أمر قد حدث بالفعل، في هدوء محاولًا معرفة ما حدث قال:

- **ماذا حدث يا حبيبتي؟ أخبريني، لا تخافي أنا هنا معكِ وبجانبكِ.**

نظرت إليه محاولة إخباره، لكنها لم تستطع فصمتت، وبعد لحظات أجابته:

- **لا يوجد شيء، أنا متعبة قليلًا وهذا كل شيء، أستريح اليوم وسأكون بخير، فلا تقلق يا نور الدين. اذهب أنتَ الآن؛ فاليوم سيبدأ الحصاد، هيا يا حبيبي حتى لا تتأخر. لا تعتل همًا سأصبح بحالة أفضل، هيا.**

فسألها مستفسرًا:

- **ما الذي تخفينه عني يا ناردين؟ أخبريني من فضلك؟**

بصوت مرتعش أجابته:

- **أخبرتك قبل سابق، لا يوجد شيء، هيا اذهب الآن من فضلك أرجوك، سوف أستريح قليلًا ثم ألحق بكَ.**

سمع نبرات صوتها الحزينة المتألمة وهي ترجوه؛ فأدرك أنها لن تتحدث مهما حاول فرد في هدوء قائلًا:

- **حسنًا يا حبيبتي، فلستريحي الآن وأنا سوف أذهب للعمل.**

غادرها مودعًا إلى حال سبيله، فنظرت من نافذة غرفتها؛ لتتأكد من أنه قد ذهب بالفعل، رأته وهو يغادر بالدراجة البخارية فتنفست الصعداء، ثم انفجرت في البكاء صارخة:

- **يا الله، أرشدني، ماذا أفعل؟**

جلست تفكر إلى أن هداها تفكيرها إلى محادثة طبيبتها النفسية؛ فهي بحاجة لأحد تتحدث معه ويسمعها، أخرجت رقم الطبيبة لتحادثها قائلةً:

- **مرحبًا طبيبتي، أرجوكِ أنا بحاجة إليكِ، أشعر بأنني لست بخير على الإطلاق.**
- **حسنًا يا ناردين فلتهدأي أولًا، ثم حدثيني عما جرى.**

ردت وهي تبكي بشدة مما جعل كل جزء بجسدها يرتعد قائلةً:

- **لقد... لقد أتى إلى هنا، لقد عثر عليَّ.**
- **من؟ هل طليقكِ؟ من تتحدثين عنه؟**
- **أجل، طليقي جلال المختل، يريد... يريدني أن أعود إليه وإلا سوف يقتل والدي وخالي وجميع أحبائي، لقد هددني بقتل نور الدين أيضًا، وحرق**

مزرعتنا وبيتنا وشركة أبي وكل شيء. أمهلني يومين، إما أن أترك حياتي هنا وأعود إليه وإلى عذابي معه، وإما أن يقتل كل من يحيطون بي وأولهم حبيبي.

ثم انهارت وهي تتابع باكية:

- **أخبريني، ماذا أفعل؟ هل تعتقدين بأنه سوف ينفذ ما توعدني به ويقتل من حولي؟ أعلم تمامًا بأنه يفعل ذلك وبدم بارد.**
- **حسنًا، فلتهدأي الآن، سأحاول التحدث إليه؛ ربما أستطيع التفاهم معه لنصل إلى حل، لكني لست واثقة، أعتقد أنه شديد الخطورة ويحتاج إلى علاج نفسي عاجل، ليكن، سأتحدث إلى أستاذي؛ ليقوم بإقناعه بتلقي جلسات للعلاج.**
- **أتمنى ذلك، أرجوكِ افعلي ما بوسعك، ساعديني فأنا أموت الآن، بالفعل أموت.**

انتهت المحادثة على ذلك وهي تبكي راجية الله بأن يجعل لها مخرجًا، لم تكن على علم بأن نور الدين قد سمع كل حديثها مع طبيبتها وفهم كل شيء؛ فلقد تظاهر أمامها بالمغادرة ثم عاد من الطريق الآخر، اقترب من غرفتها دون أن يحدث صوتًا؛ فسمع حديثها عبر الهاتف ثم انصرف خفية وابتعد دون أن تراه، ذهب إلى الشيخ حامد، فلما رآه الشيخ عابسًا، غاضبًا سأله:

- **مابك يا ولدي؟**

فأجابه نور الدين غاضبًا:

- **هناك مشكلة كبيرة وخطيرة لا أدرى كيف أتصرف بها دون أن ألحق الأذى بناردين.**
- **ما الأمر أخبرني؟ وما هي تلك المشكلة؟**

ترى كيف ستحل هذه المشكلة الخطيرة؟